نبذة عن تاريخ حركة التعريب في السودان

المشاكل، تصور الحلول.

اعداد / الدكتور تاج السر الحسن
« اللجنة السودانية للتعريب »
الأمانة العامة للمجلس القومي للتعليم العالي

لم يكن السودان بمعزل عما يجري حوله في مجال التعريب في البلاد العربية الشقيقة، فقد كان يتابع بشغف واهتمام بالغين، كل ما يجري ويتوق إلى اليوم الذي ينطلق فيه من عقالة ويلحق بالركب الميمون. ولكي يؤكد السودان انتماءه العربي وأصالته وحرصه على أن تحتل اللغة العربية لسان القرآن مكانها الذي هي خليقة به، فقد استقدمت وزارة المعارف السودانية في عام 1955 م بعد أن هبت نسمات الاستقلال، استقدمت لجنة دولية للنظر في مناهج التعليم الثانوي ومحاولة جعل اللغة العربية وسيلة لتدريس بعض العلوم التي كانت تدرس باللغة الانجليزية، فقامت اللجنة الدولية بدراسات دقيقة واتصالات بالاساتذة الذين يدرسون العلوم باللغة الانجليزية واستمعوا إلى آرائهم ونصائحم فيما يتعلق بتعريب العلوم، وحينما فرغت اللجنة من دراساتها، تقدمت بمقترحات وتوصيات مفيدة كان لها الفضل في دفع عجلة التعريب في المدارس الثانوية، وقد جاء في بعض توصياتهم :

1 ــ كانت اللغة الانجليزية هي اللغة الديوانية الرسمية لحكومة السودان عقب الاحتلال الانجليزي.

2 ــ كانت أغلبية المدرسين في المدارس الثانوية من البريطانيين خصوصا خلال العشرين سنة التي سبقت عام 1955 م.

3 ــ كانت غاية التعليم بصفة عامة والثانوي بصفة خاصة منذ البداية تعني إعداد موظفين لملء الوظائف الدنيا بمكاتب الحكومة وأخيرا أصبح دخول الثانوي وسيلة لدخول الجامعة.

هذا وما دامت الأسباب التي كانت تحتم استعمال اللغة الانجليزية قد زالت بزوال الحكم البريطاني فاللجنة الدولية ترى أنه لابد من استبدالها باللغة القومية اللغة العربية لكي تكون أداة التعليم في مدارس السودان الثانوية متى ما تمكنت وزارة المعارف السودانية من اعداد المدرسين المؤهلين الأكفاء الذين يستطيعون تدريس العلوم ،التي كان مقررا تدريسها باللغة الانجليزية، باللغة العربية.

تنفيذا لتوصيات ومقترحات اللجنة الدولية عينت وزارة المعارف حينئذ لجنة من ذوي الخبرة من المعلمين للنظر في أمر تعريب المناهج الانجليزية ومتابعة التنفيذ في أقصر فترة ممكنة، على أن تكون نصب عين اللجنة موقف الجامعة وحاجتها وموقف الشهادة السودانية وارتباطها بشهادة كمبردج، وموقف جنوب السودان ومشاكله والكتب المقررة والمدرسين.

لم يمض كبير وقت حتى تم تعريب كل العلوم التي كانت تدرس باللغة الأجنبية في المدارس الثانوية وقد شهد كل مدرسي العلوم أن التلاميذ بدأوا يكونون أكثر اقبالا على تدريس العلوم بالعربية كما أصبحوا أكثر استيعابا لها وفهما بصورة أبلغ من أي وقت مضى.

ازدهار حركة التعريب

بعد أن حقق السودان تعريب مناهج العلوم في المدارس الثانوية أخذ يفكر بجد في تعريب مناهج العلوم بالجامعات السودانية والمعاهد العليا والكليات، فما أن انبلج فجر الاستقلال حتى وجدت حركة التعريب أكبر اهتمام ورعاية من المسؤولين في الدولة، مما يسر تحرك العاملين في مجال التعريب، فاتسعت الاتصالات بالدول الرائدة في مجال التعريب فاستفادت الحركة من تجاربها وخبراتها ومؤلفاتها في شتى العلوم. وهكذا ما انفكت حركة التعريب تنمو وتزدهر عاما بعد عام حتى أنشئت اللجنة السودانية للتعريب بمبادرة كريمة من جماعة من العلماء الحادبين على اللغة العربية المشفقين على مصيرها في هذا البلد وكان في مقدمة المبادرين السيد دفع الله الحاج يوسف الوزير الأسبق لوزارة التربية والتعليم ورئيس المجلس القومي للتعليم العالي.

تضم اللجنة في عضويتها نخبة ممتازة من العلماء وأساتذة الجامعات يمثلون مختلف التخصصات. ومنذ إنشاء اللجنة السودانية للتعريب بالقرار الوزاري رقم (4) عام 1980 م، أخذت اللجنة في نشر الدعوة للتعريب والتبشير بفكره وقضاياه، وطرح مشاكله وايجاد الحلول لها. جمعت اللجنة في بادىء الأمر كل الوثائق التي أعدها باحثون متخصصون عن التعريب ومشاكله وما يعترض سبيله من عقبات منذ بدايته في مرحلة التعليم العام في عام 1955 م، وحتى الدعوة للتعريب في نطاق التعليم العالي حيث عقدت ندوة جامعة الخرطوم للتعريب عام 1979 م.

يضم مكتب اللجنة بالامانة العامة للمجلس القومي للتعليم العالي جميع الوثائق الخاصة بندوة جامعة الخرطوم التي عقدت ما بين 15 ــ 20 يناير 1979 م، تلك التي تناول فيها صفوة من العلماء مشاكل التعريب في الجامعات والمعاهد العليا وقد كان من آثار تلك الندوة دفع حركة التعريب ومضيها قدما مما أتاح للمسؤولين اتخاذ قرارات حاسمة كان لها الفضل فيما نراه اليوم من بدايات للتدريس في الجامعات باللغة العربية.

اختصاصات ومهام اللجنة

أولا : الدعوة لقضية التعريب والسعي الموصول لتطوير مستوى اللغة العربية، وتوسيع نطاق استخدامها وتعظيم دورها في الحياة الوطنية.

ثانيا : التخطيط لرعاية شؤون التعريب وجعل اللغة العربية وسيلة التعليم في كل مراحله.

ثالثا : السعي لتعريب الألفاظ والمصطلحات المستعملة في العلوم والآداب والفنون في اللغات الأجنبية.

رابعا : جمع المصطلحات العربية في شتى فروع المعرفة والسعي لاحلالها مكان المصطلح الأجنبي.

خامسا : إقرار واستحداث مصطلحات جديدة والاسهام في الجهود العربية في المجمع لتنسيق المصطلحات.

سادسا : عمل كل ما من شأنه أن يفضي إلى سيادة اللغة العربية في المجتمع السوداني في دور عمله ودواوينه وأجهزة إعلامه.

سابعا : تشجيع البحوث والدراسات المتصلة بالترجمة والتعريب.

ثامنا : إصدار المعاجم.

الوسائل :

تعمل اللجنة لتحقيق اختصاصاتها ومهامها بشتى الأساليب :

أولا : إعداد مجلة دورية متخصصة لنشر فكر التعريب وتعريف الباحثين بالمعربات وفنيات التعريب.

ثانيا : عقد اللقاءات العلمية.

ثالثا : المشاركة في اللقاءات العلمية العربية والدولية ذات الصلة بعمل اللجنة.

رابعا : الاستعانة بوسائل الاعلام في الدعوة للتعريب.

خامسا : اقامة العلاقات وتوثيق التعاون بكل المؤسسات والهيئات المهتمة بقضية التعريب.

سادسا : الاسهام في مراجعة المناهج المعربة.

اسهام اللجنة في المؤتمرات :

لقد اشتركت اللجنة السودانية للتعريب بممثلين في بعض المؤتمرات التي عقدت في بعض الدول العربية الشقيقة، فقد أسهمت مجموعة من العلماء ذوي الكفاءة والاقتدار من أعضاء اللجنة السودانية للتعريب بالاضافات والتعديلات التي أعدها متخصصون للمؤتمر الرابع الذي أقيم بطنجة 1981 م فيما يتعلق بمعجمات : الادارة، الطباعة، المحاسبة، الميكانيكا، الكهرباء... الخ وأعدوا لكل معجم تقريرا يحمل آراءهم حول تلك المصطلحات.

لقد دعا مكتب تنسيق التعريب بالرباط اللجنة السودانية إلى إقامة ندوة حول العلوم الزراعية بالسودان ذلك لأن السودان قطر زراعي ولم تتوافر الامكانات اللازمة لأقامتها، كما قدم مكتب التنسيق بالرباط اقتراحا لاقامة ندوات لمشروعات معاجم للمؤتمر الخامس للتعريب الذي كان مقررا عقده بالمملكة الاردنية الهاشمية خلال عام 1984 م الماضي وقد كانت مشروعات المعاجم التي سوف تقدم عشرة هي معجم الفيزياء، اللسانيات، التربية، الكيمياء، وقد تولى مكتب اللجنة بالتشاور مع أمين المجلس القومي للتعليم العالي حينئذ، أمر هذه المعجمات واتصل ببعض الجامعات التي تبنت بعض تلك المشروعات.

جدير بالذكر أن مكتب اللجنة السودانية للتعريب بأمانة المجلس القومي للتعليم العالي قد أصبح مرجعا أساسيا لقضية التعريب يهرع إليه الباحثون والدارسون وطلاب العلم من كل الجامعات والمعاهد العليا بالبلاد وخارجها، لا سيما الذين يعدون لرسائل الماجستير والدكتوراه، أو من يعدون بحوثا حول موضوع التعريب ويرتاد مكتب اللجنة كل يوم عشرات الزوار.

هذا وفي مجال العلاقات الخاصة، فقد وثقت اللجنة صلتها بكل الجهات العاملة في نطاق التعريب بالبلاد العربية الشقيقة في مقدمتها مكتب تنسيق التعريب بالرباط كما أنها أقامت صلات حميمة بالمجامع العليمة واللغوية مثل المجمع العلمي الأردني والمجمع العلمي اللغوي العراقي، أما صلاتها بالجامعات فقد أقامت صداقات مع اتحاد الجامعات العربية بالرباط، وكل الجامعات العربية وذلك لتبادل الخبرات

والتجارب.

إن التعريب في السودان على الرغم من الخطط التي وضعتها الدولة في العهد البائد التي ترمي إلى تحقيق التعريب في التعليم العالي في فترة لا تتجاوز الست سنوات تلك المرهونة بنهاية فترة ولاية الرئيس المخلوع، إلا أن الميزانيات الكافية لهذا العمل لم ترصد كما أن الكفاءات المتخصصة التي تساعد على انجاز هذا العمل لم تفرغ تمارس مهامها في مجال التعريب مثل ما حدث في بلاد أخرى شقيقة، مثل الأردن حيث وضعت الموازنة اللازمة وتفرغ مجلس من العلماء المتخصصين للعمل في التعريب.

لقد كان من بين المقترحات التي وضعتها الدولة.

1 ــ إقامة مجمع لغوي علمي في السودان يتولى أمور التعريب.

2 ــ إقامة مجلس أعلى للتخطيط اللغوي في السودان.

ولكن كما تعلمون جميعا فإن التركة الضخمة الثقيلة التي ورثها أولو الأمر في السودان بعد الثورة الشعبية والاطاحة بنظام جعفر النميري، من خراب وتدمير في الاقتصاد السوداني وكل مقوماته إلى جانب المشاكل والمعوقات التي أحاطت بالبيئة السودانية، مثل الجفاف والتصحر، والمجاعة، كل ذلك قد انعكست آثاره على الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للتعليم في البلاد. مما أثر بطبيعة الحال على حركة التعريب التي ليست بمعزل عما يجري في البلاد، كما عطل كثيرا من الخطوات التي كان يمكن أن تخطوها اللجنة بصورة أفضل.

صعوبات أمام التعريب

كشفت التجربة في السودان صعوبات جمة تقف حائلا دون الاسراع في التعريب بالصورة التي تصبو إليها الحركة، وهي صعوبات ثلاث لعلها واجهت كل الدول الشقيقة التي انتهجت التعريب في أول الأمر، تتلخص في :

الأستاذ، والطالب، والكتاب. ولكن يمكن تذليلها إذا صدقت النيات، فالصعوبة التي تواجه الأستاذ تعتمد أول ما تعتمد على صدق عزمه وإيمانه بالتعريب. فقد رأينا كثيرا من الأساتذة في الجامعات يرفضون التدريس بالعربية في جامعات بلادهم وما أن تتم اعارتهم أو هجرتهم من تلقاء أنفسهم إلى الدول العربية الشقيقة لا يجدون مناصاً من أن يدرسوا كل العلوم باللغة العربية مما يدل على أن إحجامهم عن التدريس بالعربية لا يستند على شيء وأكثر ما يعوق الأستاذ عن المضي قدما في المحاولة هو الخوف والتردد، وليس مطلوب من أستاذ العلوم أن يدرس مادته بلغة عربية فصحى يراعى فيها قواعد النحو والصرف إلى غير ذلك من أساليب اللغة وإنما يكفي أن يبلغ الأستاذ علمه بلغة سهلة ولتكن اللغة العامية لغة التخاطب اليومي، وبعد التجارب المتصلة يستطيع الأستاذ أن يدرس بلغة فصيحة إذا أراد في محاضراته.

أما الصعوبات التي تواجه الطالب فيمكن تذليلها عن طريق تبادل الرحلات الثقافية والتبادل الثقافي بين تلك الجامعات التي أصبحت راسخة القدم في التعريب، وأن تكون الصلة مستمرة بالاقطار العربية الشقيقة التي عربت كل مناهجها في جامعاتها، أما الكتاب فلابد من توافر الكتاب الذي يسد الفراغ مع احصاء لما بين ايدينا مما نحتاج إليه، ولابد من أن يجد الطالب بين يديه كتبا عامة موسعة في الموضوع الذي يود قراءته، ولا يعني التعريب في مناهج الجامعة أن يكون على حساب اللغات الأجنبية وإسقاطها كما يتوهم الكثيرون.

إن المعاجم مهمة جدا في حركة التعريب

ولحسن الحظ فاننا نسمع أن هناك جهودا مستمرة تبذل في سبيل إصدار المعاجم التي تساعد في الدفع بحركة التعريب إلى الأمام.

إن اللجنة السودانية على الرغم مما تعاني من قلة المال الذي لا يتم شيء بدونه ولقد أحسن شوقي حيث يقول :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهمو
لم يبن ملك على جهل واقلال

وعلى الرغم من ضعف الامكانات والظروف العامة التي تحيط ببلادنا فقد أعدت اللجنة بعض مشروعات للترجمة والتأليف بعضها تحت الطبع الآن منها :

1 ــ كتاب (مبادىء الجغرافيا المناخية) للدكتور مهدي أمين، كلية الاقتصاد جامعة الخرطوم
2 ــ كتاب (الحشرات الزراعية) البروفسور امام الخضر محمد نور. كلية الزراعة ــ جامعة الخرطوم
3 ــ كتاب (الميكروب) الدكتور حامد أحمد ضرار. كلية الزراعة ــ جامعة الخرطوم
4 ــ كتاب (الجبر) الدكتور عادل نصر الدين ــ جامعة الخرطوم

الكتاب الأول تحت الطبع بدار النشر التابعة لجامعة الخرطوم ونأمل أن يكون ذا فائدة عظيمة في مجال التعليم العالي والعام ونتوقع صدوره قريبا، أما الكتب الثلاثة الأخيرة فهي تخضع للمراجعة والتقويم لاعدادها للنشر.

إن اللجنة السودانية للتعريب ترجو أن تقدر البلاد العربية الشقيقة الظروف الصعبة التي تحيط بالسودان فتعمل على دعم حركة التعريب بما لديها من خبرات وإمكانات. إن التعريب حلقة أساسية في بناء نهضة السودان بل وفي نهضة الأمة العربية بأسرها.

لقد جاء في محاضرة للدكتور مازن المبارك تناولت التعريب في الوطن ما نصه :

«إن الأمة التي تبما لغتها أمة تستقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية وحاشا أن نريد ذلك أو نقبل به. اننا نؤمن أن تعلم اللغة وتعليمها ليس مهنة أو قضية تعليمية وإنما هو قضية وطنية ورسالة قومية.

ونرى إلى جانب ذلك أن في اهمال التدريس باللغة العربية حد من نشر العلم يجعله قاصرا على من يتقن اللغة الأجنبية التي هي لغة التدريس والتعليم وقد رأينا بطلان الحجة القائلة بأن التعليم باللغة الأجنبية هو وحده الذي يمكن الطالب من متابعة تحصيله.. ونحن حين ندعو إلى ذلك لا ننكر أهمية اللغات الأجنبية بل ننادي بإصرار على وجوب تعليمها واتقانها، ولكننا ننكر ألا تكون العربية لغة التعليم في كل الكليات كما ننكر اهمال تعليمها وعدم ادخالها مقررا دراسيا في جميع الأقسام.

إن التعليم بغير العربية يلقى في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية غير ذات نفع لهم وأنها لا تصلح أداة للعلم ولا وسيلة للبحث العلمي، ولا يزال ذلك الوهم ينمو في أذهانهم حتى يصبح بينهم وبين لغة قومهم وثقافة أمتهم وتراثها حجاب كثيف فإذا اعترضتهم حائجة من اغراء أو هوى ــ وما أكثرها ــ أطاحت بما بقي في نفوسهم من صلة روحية بلغتهم، فإذا بين العربي وقوميته وأمته حاجز من الكره والاحتقار وراءه حاجز من الجهل.. الخ».

لكم وددت أن استرسل فيما جاء بهذه المحاضرة الصادقة الداعية إلى التمسك بلغة قومنا وثقافتهم وتراثهم الخالد، إلا أن المقام لا يسمح بالاطالة. لقد جمع كل تلك المعاني في بيت شعر

واحد، العلامة اللغوي الحجة الشيخ الطيب السراج طيب الله ثراه وهو من علماء السودان الذين أفنوا حياتهم في الذود عن اللغة العربية :

الحيّ حيّ من حياة لسانه
فإذا أبيد من اللّسان أبيدا

هذا ولا يسعني إلا أن أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق هذا الجمع الكريم من المؤتمرين إلى ما فيه رفعة شأن اللغة العربية لسان القرآن ولسان محمد لغة عزتنا وأصالتنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم.

ooo